

الآخر



ماذا لو كنت أنت الآخر؟ هذا الغريب الذي لا ترى من ملامحه سوى العداة ورغبته في القضاء عليك، أو ترى مصالحك لا تتوافق مع مصالحه، هل هذه الرؤية حقيقة؟ أم إحساس نما في داخلك وتفاقم مع الظروف والأحداث، ماذا لو اكتشفت بأن الآخر يبدك غريباً ويخشاك كما تفعل أنت؟

هذا الآخر ليس الآخر، إنّه صورة عنك، لكنّه تعايش مع ظروف مختلفة عن تلك التي مرت بك فبدا لك مختلفاً وغريباً، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ أَعْلَمُ خَيْرٍ) (الحجرات/ 13)، ولعلنا نجد بهذه الآية الشيء الكثير، فالسبحانه وتعالى بين للناس كافة وليس للمؤمنين فقط أن من أسباب الخلق التكاثر والتعارف، والخطاب للناس هنا مهم جداً، لأنّه يوضح العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، كما أن التعارف لا يتوقف عند المعنى المعجمي للمفردة إنّما هو التعامل بالحُسن.

وقد انتزع بعض المفسرين (الطبري) وغيره كلمة (شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) واختزلها في القبائل العربية دون غيرها ناسياً أو غير منته للمعنى العام الواضح في صيغة المخاطب في الآية الكريمة (النَّاسُ) قائلاً: "إذا قيل للرجل من العرب: من أيّ شعب أنت؟ قال: أنا من مضر، أو من ربيعة"، وهذا التفسير فيه الكثير من الإجحاف.

وأنا لا أنكر على البعض الحقّ في الانتماء والعصبية للقبيلة أو الوطن أو غيرها، بل هو أمر محمود، لكنني هنا أود أن يدرك البعض بأنّ العصبية والانتماء لا ينبغي أن تجعلنا نلغي الآخرين، فهي تخرج هنا من إطار العصبية إلى إطار التعصب والتطرف، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، فالانتماء للأهل والأقارب من الدين، لكن الضغينة وكره الآخر وتمني الشرّ له ليس من الدين في شيء.

علينا أن نُعلِّم أبناءنا ما يرد في كتاب الله تعالى من إرشادات في التعامل بين الناس، فالدين معاملة، والمعاملة تتطلب الأخلاق الحميدة، فالسبحانه ما أراد لنا أن نكون متطرفين أو مغالين في تعاملنا مع الشعوب الأخرى، لأننا نعكس صورة الإسلام المعتدل لدى تلك الشعوب ونجعلهم ينظرون إلينا بالكثير من الاحترام.

وفي مقابل ذلك لا ينبغي علينا التفريط بأي حق لنا، فاحترام الآخر لا يكون بالتنازل عن الحقوق وإيثاره علينا، احفظ له حقه ودافع عن حقه، إنها قمة الاعتدال التي أرادها لنا الله سبحانه بأن تكون طريقنا في المعاملة من دون السماح للآخرين بالنيل من حقوقنا.